

الإمام الحافظ الليث بن سعد

الليث بن سعد

أعلام الفقهاء

الإمام الحافظ الليث بن سعد

من أشهر الفقهاء في زمانه فاق في علمه وفقهه إمام المدينة الإمام مالك غير أن تلامذته لم يقوموا بتدوين علمه وفقهه ونشره في الآفاق مثلما فعل تلامذة الإمام مالك، وكان الإمام الشافعي يقول: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. إنه الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية ولد بقرقشنة وهي قرية من أسفل أعمال مصر في سنة أربع وتسعين للهجرة.

طلبه للعلم:

تلقى الليث العلم على عدد من كبار علماء عصره، فسمع من عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة ونافعًا العمري وسعيد بن أبي سعيد المقبري وابن شهاب الزهري وأبا الزبير المكي وغيرهم كثير.

وفي عدة روايات يصف الليث رحلاته في طلب العلم قال ابن بكير: سمعت الليث يقول: سمعت بمكة سنة ثلاث عشرة ومائة من الزهري وأنا ابن عشرين سنة.

قال يحيى بن بكير: أخبرني من سمع الليث يقول: كتبت من علم ابن شهاب علمًا كثيرًا وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركته ودخلت على نافع فسألني فقلت: أنا مصري فقال: ممن قلت؟ من قيس قال: ابن كم؟ قلت: ابن عشرين سنة قال: أما لحيتك فلحية ابن أربعين؟ قال أبو صالح: خرجت مع الليث إلى العراق سنة إحدى وستين ومائة خرجنا في شعبان وشهدنا الأضحى ببغداد قال: وقال لي الليث ونحن ببغداد سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له: أخوك ليث المصري يقرئك السلام ويسألك أن تبعث إليه شيئًا من كتبك فليقت هشيمًا فدفعت إلي شيئًا فكتبنا منه وسمعتها مع الليث.

مكانته العلمية:

يقول الحافظ أبو نعيم: كان الليث رحمه الله فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها ومن يفتخر بوجوده الإقليم بحيث إن متولي مصر وقاضيتها وناظرها من تحت أوامره ويرجعون إلى رأيه ومشورته ولقد أراد المنصور على أن ينوب له على الإقليم فاستعفى من ذلك.

ولليث أحاديث كثيرة في كتب الصحاح، ومن الأحاديث التي رويت عن الليث ما رواه الترمذي قال: حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [♂] يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا— . قال أبو صالح: كان الليث يقرأ بالعراق من فوق على أصحاب الحديث والكتاب بيدي فإذا فرغ رميت به إليهم فنسخوه.

قال ابن سعد: كان الليث قد استقل بالفتوى في زمانه.

روى عبد الملك بن شعيب عن أبيه قال: قيل لليث أمتع الله بك إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك فقال: أو كل ما في صدري في كتبي لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: أصح الناس حديثاً عن سعيد المقبري الليث بن سعد يفصل ما روي عن أبي هريرة وما روي عن أبيه عن أبي هريرة هو ثبت في حديثه جداً.

ومما يروى عنه أيضاً عن الليث بن سعد عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري وكان يحيى المؤودة يقول الرجل: إذا أراد أن يقتل ابنته مه لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها

إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها

ولليث أسانيد إلى أبي هريرة ومنها: عن الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [♂]إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة—.

مناقبه وفضائله:

قال ابن بكير: كان الليث فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر حسن المذاكرة.

روي عن شرحبيل بن جميل قال: أدركت الناس أيام هشام الخليفة وكان الليث بن سعد حدث السن وكان بمصر عبيد الله بن أبي جعفر وجعفر بن ربيعة والحارث بن يزيد ويزيد بن أبي حبيب وابن هبيرة وإنهم يعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه عن حادثة سنة ثم قال ابن بكير: لم أر مثل الليث، وروى عبد الملك بن يحيى بن بكير عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أكمل من الليث.

قال عثمان بن صالح: كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث فحدثهم بفضائله فكفوا وكان أهل حمص ينتقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائل علي فكفوا عن ذلك، وروي عن حرملة يقول: كان الليث بن سعد يصل مالاً بمائة دينار في السنة فكتب مالك إليه على دين فبعث إليه بخمس مائة دينار فسمعت ابن وهب يقول: كتب مالك إلى الليث إني أريد أن أدخل بنتي على زوجها فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفر فبعث إليه بثلاثين حملاً عصفراً فباع منه بخمس مائة دينار وبقي عنده فضله، قال أبو داود: قال قتيبة: كان الليث يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة وقال: ما وجبت علي زكاة قط وأعطى الليث ابن لهيعة ألف دينار وأعطى مالاً ألف دينار وأعطى منصور بن عمار الواعظ ألف دينار وجارية تساوي ثلاث مائة دينار.

قال صالح بن أحمد الهمداني: قدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار واحترقت دار ابن لهيعة فوصله بألف دينار ووصل مالكا بألف دينار وكساني قميص سندس فهو عندي.

وروي عن محمد بن ربح يقول كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط.

وروي عن أشهب بن عبد العزيز يقول: كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها أما أولها فيجلس للسلطان في نوائبه وحوائجه وكان الليث يغشاه السلطان فإذا أنكر من القاضي أمراً أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل ويجلس لأصحاب الحديث وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيرده كبرت حاجته أو صغرت وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر وفي الصيف سويق اللوز في السكر.

وروي عن يعقوب ابن داود وزير المهدي قال: قال أمير المؤمنين لما قدم الليث العراق الزم هذا الشيخ فقد ثبت عندي أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه.

وكان الليث بن سعد يقول: بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط، ويعلق الحافظ أبو نعيم على قوله فيقول: كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث ومالك والأوزاعي والسنن ظاهرة عزيزة فأما في زمن أحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد فظهرت البدعة وامتحن أئمة الأثر ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة ثم كثر ذلك واحتج عليهم العلماء أيضاً بالمعقول فطال الجدل واشتد النزاع وتولدت الشبهة نسأل الله العافية.

قال بكر بن مضر: قدم علينا كتاب مروان بن محمد إلى حوثره والى

مصر إني قد بعثت إليكم أعرابيا بدويا فصيحا من حاله ومن حاله فأجمعوا له رجلاً يسدده في القضاء ويصوبه في المنطق فأجمع رأي الناس على الليث بن سعد وفي الناس معلماه يزيد بن أبي حبيب وعمرو بن الحارث، قال أحمد بن صالح: أعضلت الرشيد مسألة فجمع لها فقهاء الأرض حتى أشخص الليث فأخرجه منها.

ثناء العلماء عليه:

كان الإمام الشافعي يقول: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وقال ابن وهب: لولا مالك والليث لضل الناس.

وقال عبد الله بن صالح: صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض.

وقال أحمد بن سعد الزهري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الليث ثقة ثبت، وقال أيضا: الليث كثير العلم صحيح الحديث

وقال عثمان الدارمي: سمعت يحيى بن معين يقول: الليث أحب إلي من يحيى بن أيوب ويحيى ثقة قلت: فكيف حديثه عن نافع؟ فقال: صالح ثقة.

وعن أحمد بن صالح وذكر الليث فقال: إمام قد أوجب الله علينا حقه لم يكن بالبلد بعد عمرو بن الحارث مثله.

قال ابن سعد: استقل الليث بالفتوى وكان ثقة كثير الحديث سرياً من الرجال سخياً له ضيافة

وقال العجلي والنسائي: الليث ثقة.

وقال ابن خراش: صدوق صحيح الحديث.

وروي عن يحيى بن معين قال: هذه رسالة مالك إلى الليث حدثنا بها عبد الله بن صالح يقول فيها: وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك إليك واعتمادهم على ما جاءهم منك.

وقال يحيى بن بكير: الليث أفه من مالك ولكن الحظوة لمالك رحمه الله.

قال علي بن المديني: الليث ثبت.

قال العلاء بن كثير: الليث بن سعد سيدنا وإمامنا وعالمنا.

مواقف من حياته:

قال الحسن بن يوسف بن مليح: سمعت أبا الحسن الخادم قال: كنت غلاماً لزبيدة (زوجة الرشيد) وأتي بالليث بن سعد تستفتيه فكنت واقفاً على رأس ستي زبيدة خلف الستارة فسأله الرشيد فقال له: حلفت إن لي جنتين فاستحلفه الليث ثلاثاً إنك تخاف الله فحلف له فقال: قال الله: {وَلَيْمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} [الرحمن: ٤٦] فأقطعه الرشيد قطائع كثيرة بمصر.

وروي عن الليث قال: قال لي أبو جعفر المنصور تلي لي مصر قلت: لا يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك إني رجل من الموالي فقال: ما بك ضعف معي ولكن ضعفت نيتك في العمل لي.

قال: وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث إن ابناً لي عليلاً واشتهى عسلاً فقال: يا غلام أعطها مرطاً من عسل والمرط عشرون ومائة رطل.

وعن الحارث بن مسكين قال: اشترى قوم من الليث ثمرة فاستغلوها فاستقالوا فأقالهم ثم دعا بخريطة فيها أكياس فأمر لهم بخمسين ديناراً فقال له ابنه الحارث في ذلك فقال: اللهم غفرا إنهم قد كانوا أملوا فيها أملاً فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا.

وروي عن الليث قال: لما ودعت أبا جعفر المنصور ببيت المقدس قال: أعجبنى ما رأيت من شدة عقلك والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك قال شعيب: كان أبي يقول: لا تخبروا بهذا ما دمت حياً.

قال يحيى بن بكير: قال الليث: قال لي المنصور تلي مصر؛ فاستعفيت

قال: أما إذا أبيت فداني على رجل أقلده مصر قلت: عثمان بن الحكم الجذامي رجل له صلاح وله عشيرة. قال: فبلغ عثمان ذلك فعاهد الله ألا يكلم الليث.

وروي عن سعيد الأدم قال: مررت بالليث بن سعد ففتح فرجعت إليه فقال لي: يا سعيد خذ هذا القنطاق فاكتب لي فيه من يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلة. فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث. وأخذت منه القنطاق ثم صرت إلى المنزل فلما صليت أوقدت السراج وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ثم قلت فلان بن فلان ثم بدرتني نفسي. فقلت: فلان بن فلان. قال: فبينما أنا على ذلك إذا أتاني أت فقال: هالله يا سعيد تأتي إلى قوم عاملوا الله سرّاً فتكشفهم لآدمي ما الليث وما شعيب أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه. فقامت ولم أكتب شيئاً، فلما أصبحت أتيت الليث فتهلل وجهه فناولته القنطاق فنشره فما رأى فيه غير بسم الله الرحمن الرحيم فقال: ما الخبر فأخبرته بصدق عما كان فصاح صيحة فاجتمع عليه الناس من الحلق فسألوه فقال: ليس إلا خير ثم أقبل علي فقال: يا سعيد تبينتها وحرمتها صدقت ما الليث وما شعيب أليس مرجعهم إلى الله.

عن أبي صالح كاتب الليث قال: كنا على باب مالك فامتنع عن الحديث فقلت: ما يشبه هذا صاحبنا فسمعها مالك فأدخلنا وقال: من صاحبكم؟ قلت: الليث قال: تشبهونا برجل كتبت إليه في قليل عصف نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ منه ما بعنا فضلته بألف دينار.

وفاته:

قال يحيى بن بكير وسعيد بن أبي مريم: مات الليث للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة قال يحيى: يوم الجمعة وصلى عليه موسى بن عيسى.

قال خالد بن عبد السلام الصديقي: شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي فما رأيت جنازة قط أعظم منها رأيت الناس كلهم عليهم الحزن وهم

يعزي بعضهم بعضاً ويكون فقلت يا أبت كأن كل واحد من الناس صاحب
هذه الجنازة فقال: بابني لا ترى مثله أبدا (1).

* * *

(1) المصدر: طبقات ابن سعد: 517 / 7، التاريخ لابن معين: 501، طبقات خليفة: 296. تاريخ خليفة: 449، التاريخ الكبير: 246 / 7، التاريخ الصغير: 209 / 2، المعارف لابن قتيبة: 505، 506، الجرح والتعديل: 179 / 7 - 180، مشاهير علماء الأمصار: (1536): 191، مروج الذهب: 349 / 3، الحلية: 318 / 7، الفهرست: 199 / 1، تاريخ بغداد: 3 / 13، صفوة الصفوة: 281 / 4، وفيات الأعيان: 127 / 4 - 132، تهذيب الكمال للمزي: 1152، تذكرة الحفاظ: 1 / 224 - 226، ميزان الاعتدال: 3 / 423، العبر للذهبي: 1 / 266، صبح الأعشى: 2 / 399، تهذيب التهذيب: 8 / 459، النجوم الزاهرة: 2 / 82، الجواهر المضيئة: 1 / 266، شذرات الذهب: 1 / 285.
